الجهود الإعلامية لمجابهة حروب الجيل الرابع في الفضاء السيبراني
– البرنامج الإذاعي "السليل" أنموذجا –

Media efforts to confront fourth generation wars in cyberspace
- Radio program « ESSALIL » as model -

د. نبيل شايب

المدرسة العليا العسكرية للإعلام والاتصال (الجزائر)

تاريخ الاستلام، 2022/06/12؛ تاريخ المراجعة، 2022/06/29؛ تاريخ القبول، 2022/06/30

ملخص:

تستمد هذه الورقة البحثية الموسومة بالجهود الإعلامية لمجابهة حروب الجيل الرابع في الفضاء السيبراني من أهمية موضوع الفضاء السيبراني الافتراضي ومختلف التهديدات السيبرانية التي يتلقاها المستخدم عبر الفضاء الاتصالي الرقمي المفتوح.

لذا نهدف من خلال هذا المقال إلى رصد الجهود الإعلامية استنادا لقراءة تحليلية للبرنامج الإذاعي السليل من خلال الصفحة الرسمية للإذاعة الوطنية عبر موقع الفايسبوك ، كون أن الشبكات الاجتماعية جسدت على الانترنيت فضاءً رمزياً افتراضياً موازيا للعالم الواقعي، يعيشه الإنسان في صورة آلية وأصبح جزءً هاما من حياته الاجتماعية.

استنادا لما سبق ، توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الحصة الإذاعية السليل تساهم في تحقيق الحوار بين أجهزة الدولة وفئات الشعب بما يحقق الإبداع والتواصل، وبذلك يحقق التآخي والترابط بين أبناء الشعب من أجل إنجاز الأهداف الوطنية عن اقتناع وبصورة مشرفة كونها تعمل على تعميق وعي المواطن وإثراء شخصيته وإقناعه بالقضايا الراهنة و التي تهدف أولاً وأخيراً إلى تحقيق أمنه والأمن الوطني للدولة.

الكلمات المفتاحية: الأمن السيبراني ، الرقمنة ، الحروب، الجيل الرابع ، الإعلام

Abstract:

This research paper, tagged with media efforts to confront fourth generation wars in cyberspace, derives from the importance of the subject of virtual cyberspace and the various cyber threats that the open digital communication space receives.

Therefore, through this article, we aim to monitor media efforts based on an analytical reading of the descendant radio program published on the official page of the National Radio via Facebook, since social networks have embodied on the Internet a symbolic virtual space parallel to the real world, which man lives in an automated form and has become an important part of his life Social.

Based on the foregoing, we came through this study to a conclusion that the descendant radio share contributes to achieving dialogue between state agencies and groups of people in a manner that achieves creativity and communication, and thus achieves fraternity and interdependence among the people in order to achieve national goals with conviction and honorable manner as it works to deepen Awareness of the citizen, enriching his personality, and convincing him of the current issues, which aim first and foremost to achieve his security and the national security of the state.

Keywords: Cyber security, digitization, wars, fourth generation, media.

مقدمة:

تشير فلسفة حروب الجيل الرابع إلى أن ''**الانتصار في المعارك ليس هو النجاح التام في المعارك التي تخوضها... النجاح التام هو أن تكسر مقاومة العدو من دون أن تخوض قتالا**'' [1].

على ضوء هذه المقولة الصينية، تشير الدراسات الاتصالية الحديثة إلى أن إشكالية الأمن السيبراني تشكل مجموع الأطر القانونية والتنظيمية، الهياكل التنظيمية، إجراءات سير العمل بالإضافة إلى الوسائل التقنية والتكنولوجية والتي تمثل الجهود المشتركة للقطاعين الخاص والعام، المحلية والدولية والتي تهدف إلى حماية الفضاء السيبراني الوطني، مع التركيز على ضمان توافر أنظمة المعلومات وتمتين الخصوصية وحماية سرية المعلومات الشخصية واتخاذ جميع الإجراءات الضرورية لحماية المواطنين من مخاطر الفضاء السيبراني.

لذا فإن التفاعلات بين الشباب الرقميين Digital Native في الفضاء الرمزي السيبري بداخله مجتمعات افتراضية ،تحاكي المجتمعات التقليدية في الفضاء الفيزيائي الواقعي، تتكون من أعضاء من جماعات إنسانية في علاقات تفاعلية تربط بعضهم البعض خصائص نوعية معينة ومختلفة، تفرضها هذه البيئة الإنسانية الآلية.

إن التفاعل والتواصل في المجتمعات الافتراضية بين أفراد من مختلف مجتمعات وثقافات العالم، تزيد احتمالات تعرض أعضاء هذه المجتمعات لعمليات التغيير والتعديل في أفكارهم وآراءهم وقيمهم واتجاهاتهم التي يؤمنون بها، وهو ما ينعكس على أنماط السلوك الصادرة عنهم في تعاملهم وتفاعلهم مع مجتمعاتهم الحقيقية فقد أصبحت المجتمعات الافتراضية بأنواعها من حيث المحتوي والآلية تلعب دورا مؤثرا في تشكيل وإعادة بناء البنيات المعرفية والقيمية والثقافية لهؤلاء الشباب [2].

لذا تعمل حروب الجيل الرابع بشكل دائري حول الهدف المسطر من طرف بعض المؤسسات الاعلامية، فهي لا تستهدف الشخص والمجتمع وقيمه بشكل مباشر، فهو إن استشعر ذلك تحرك للدفاع عنها تلقائيا، لأنه من دونها يتجرد من هويته وقيمه العليا.

ولكن خطورة الإعلام في المرحلة الراهنة تتمثل في أنه تحول إلى أحد أبرز أدوات ما يُعرف بحروب الجيل الرابع، وهي نمط من الحروب بات يتردد كثيراً على ألسنة المحللين، وأصبحت الصفحات الإعلامية المنشورة عبر موقع الفايسبوك مصدر الأخبار الأساسي للفضائيات والصحف الإلكترونية، ومن هنا تأتي خطورة الدور الذي تراهن عليه القوى الكبرى في تحقيق أهدافها داخل المجتمعات والدول عبر التوظيف الجيد لهذا الجيل الجديد من الإعلام.خاصة وأن الفجوة التقنية القائمة بين الأجيال في عالمنا العربي تجعل من الصعب على الجيل القديم الاعتراف بأن الخطر يكمن في «كبسة زر» على لوحة الحاسب الآلي، ورغم اعتراف شريحة واسعة من الجيل القديم بما حققه الإنترنت والإعلام الاجتماعي من تحولات نوعية هائلة في المجتمعات وما يمتلك من تأثيرات، فإن البعض داخل هذه الشريحة يعترف من باب مسايرة الآخرين ومن دون قناعة كاملة بأن في مثل هذه الوسائل ما يفوق الأدوات التقليدية القديمة خطورة وتأثيراً .

لذا سنركز في هذه الورقة البحثية على إبراز الجهود الوظيفية الإعلامية للبرنامج الإذاعي السليل الذي يبث عبر أثير الإذاعة الوطنية و منشور عبر صفحاته الرسمية.

مما سبق نطرح الإشكالية التالية :

كيف تسهم الحصة الإذاعية "السليل"، عبر الإذاعة الوطنية، في مجابهة حروب الجيل الرابع عبر الفضاء السيبراني ؟

I. الفضاء السيبراني: الأسباب و الانعكاسات

إن تحول المجتمعات إلى مجتمعات معلوماتية، وهو التحول الذي يحدث بفضل إدماج تكنولوجيات جديدة في كل مجال من مجالات النشاط، وفي كل نوع من أنواع البنية التحتية ليزيد من اعتماد الأفراد، والمنظمات، والبلدان على أنظمة المعلومات والشبكات. وهذا مصدر رئيسي من مصادر المخاطر تَجِبْ معاملته كخطر أمني.

وتواجه البلدان النامية من بينها الجزائر إشكالية الحاجة للانضمام إلى المجتمع المعلوماتي دون أن يغيب عن بالها مخاطر تحولها إلى الاعتماد على التكنولوجيات وعلى مقدمي التكنولوجيا واحتياجها لتفادي خطر الفجوة الرقمية التي تنشأ عنها ثغرة أمنية أو حتى الاعتماد الزائد على الهيئات التي تتحكم في احتياجاتها وفي سبل تحقيق أمن تكنولوجيا المعلومات [3].

ويجب أن يتم التفكير ملياً في تصميم وإنشاء وإدارة البنى الأساسية للاتصالات والخدمات والأنشطة التي توفرها مع مراعاة الجانب الأمني، ذلك لأن الأمن هو الركن الركين لأي نشاط، وينبغي النظر إليه كخدمة تُمكِن من خلق خدمات أخرى وتولد القيمة (مثل الحكومة الإلكترونية، والصحة الإلكترونية، والتعليم الإلكتروني). فليس الأمر مقصوراً على التكنولوجيا وحدها [4].

إن أنظمة تكنولوجيا المعلومات المترابطة شبكياً هي موارد يمكن الوصول إليها عن بعد، ومن ثم فهي أهداف يحتمل أن تتعرض للهجوم السيبراني. كما أن الأنظمة معرضة لخطر زائد هو الاختراق، حيث تتزايد فرص شن الهجمات عليها واقتراف الجرائم. وعلى الرغم من أن الأنظمة هي التي تكون هدفاً للهجوم فإن الغنيمة التي يسعى المهاجمون للفوز بها هي المعلومات التي تجري معالجتها .

II. حروب الجيل الرابع في الفضاء السيبراني ..أي دور للإعلام الالكتروني ؟

يشهد العصر الحالي تغييرات سريعة وكثيفة في ظل التكنولوجيا منها الايجابية والسلبية، فكانت التغييرات السلبية لها أقوى درجة من التأثير خاصة في مجال المساس بأمن الدول وذلك نتيجة انتشار الهجمات السيبرانية في الفضاء الاتصالي الرقمي المفتوح ، مما توجب على الأنظمة الدولية التفطن لوضع استراتيجيات جديدة للحد من هذه الهجمات السيبرانية .

وفي سياق متصل، تعد شبكات التواصل الاجتماعي أكثر أشكال المجتمعات الافتراضية محاكاة للمجتمع الطبيعي خاصة فيما يتعلق بالطريقة الشبكية في تشكيل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فهي عبارة عن موقع الكتروني يسجل فيه الأفراد على الشبكة عضويتهم من خلال بريدهم الالكتروني وكلمة مرور خاص بهم وينشئ كل عضو صفحة خاصة تعبر عن هويته الافتراضية التي يتعامل من خلالها داخل المجتمع الافتراضي ويقوم كعضو بالتعرف على أعضاء آخرين من خلال صفحاتهم الشخصية، ومن ثم تكوين صداقات ومجموعات وعلاقات متشابكة داخل الموقع، ويتعامل الأعضاء والأصدقاء من خلال أدوات التفاعل الاجتماعي مثل الدردشة النصية، الصوتية، المرئية وغيرها من التطبيقات.

وبالرغم من فاعلية الاتصال الرقمي إلا أن مصادر الخطر في حروب الجيل الرابع وما يروج له عبر الإعلام في أحيان كثيرة، باعتباره أحد أدواتها الأقوى تأثيراً، هي ثقافة المجتمعات والعمل على تآكلها بحيث يكون ذلك مدخلاً مناسباً لتفكيك الهويات الوطنية واختراق الدول والمجتمعات عبر طرق مختلفة، وهذا الأمر يحدث بشكل هادئ ومن دون أدنى ضجيج، وهذه خطورة هذا الجيل من الحروب كونه يحدث من دون أدنى ضجيج وبأدوات بالغة التعقيد وبأهداف مرحلية متداخلة. ما يحدث في العديد من الدول على المستوى الإعلامي، تحت ستار حريات الإعلام والإبداع والرأي، يمثل في كثير من جوانبه أحد تجليات حروب الجيل الرابع، فهناك تفكيك ضمني لمنظومات القيم الأخلاقية والمجتمعية .

III. سياسات حروب الجيل الرابع .. من مخاطر الدعاية إلى القوى الناعمة الرقمية

يعد الجيل الرابع من الحروب هو مفهوم يعبر عن الصراع الذي يتميز باللامركزية من حيث تغير أسس الحرب وعناصرها، ما يعني تجاوز المفهوم العسكري الضيق للحروب إلى المفهوم الواسع، حيث توظف القوى الناعمة في هذه الحروب إلى جانب الأدوات العسكرية. ففكرة هذه الحروب تعتمد على صناعة وتوجيه نوع من التمرد أو الاحتجاج أو المعارضة من خلال تمرير رسائل دعائية، حيث لا يكون الصراع المسلح بين قوتين عسكريتين نظاميتين، بل بين الدولة ومجموعات غير نظامية تستخدم فيها كل الوسائل التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، بهدف إجبار الدولة على التخلي عن سياستها وأهدافها الإستراتيجية.

تستهدف سياسات حروب الجيل الرابع تمزيقَ البنية الاجتماعية وتدميرها، وذلك باستخدام عدد من السياسات من أهمها:

1.III/ سياسة تقسيم الأدوار

تتمثل أهم أدواتها في نخب فكرية وحقوقية مصطنعة، يتم تصنيعها لأداء دور محدد طبقًا لحسابات مدروسة من خلال وسائل تواصل اجتماعي مستغلة في ذلك حسابات إلكترونية مزيَّفة تصطنع العقلانية والاتزان وتتاجِر بالشعارات والمثاليات وتناقش الجزئيات والهوامش على حساب الجوهر والمتن. وكل أداة تؤدي دوراً مدروساً بعناية، وتتحرك في توقيت دقيق، والهدف منها هو خدمة الطرف المعارِض وإمداده بغطاء شرعي وتشتيت الرأي العام [(5)].

2.III/ سياسة نشر الفوضى

تهدف تلك السياسة إلى نشر الفوضى بكل صورها في مجريات الأحداث داخل الدول؛ لإفقاد المواطن الثقة بأجهزة الدولة والتشكيك في مصادر معلوماتها وإجراءاتها، وبالتالي تُعد الخطوة الأولى والفاعلة لتفكيك الدولة؛ حيث إنها تحقق الهزيمة النفسية للشعوب. ولتحقيق تلك السياسات تعتمد حروب الجيل الرابع على عدد من الآليات والوسائل لتنفيذ سياساتها على أرض الواقع من أبرزها:

أ/ الدعاية الرقمية:

تُعد من أهم الطرق والوسائل المستخدمة في الحروب غير النمطية؛ حيث يتم من خلالها نشر وترويج الأفكار والآراء والمبادئ باستخدام التطبيقات على شبكة المعلومات الدولية بهدف تحليل شخصية المترددين، ثم التأثير في سلوكياتهم بهدف توجيههم؛ لخلق حالة من الاندماج بين عالمهم الواقعي والعالم الافتراضي على الشبكات الإلكترونية، تمهيداً لاستكمال تنفيذ العمليات النفسية ضد المجتمع أو الأفراد المستهدفة داخل الدولة باستخدام أكبر وأهم آليات الإعلام الرقمي فاعلية وتأثيراً على الشعوب والمجتمعات، والمتجسدة في شبكات التواصل الاجتماعي حيث يتغول الإعلام الرقمي بشراسة للسيطرة على العقول.

ب/ السيكوميديا:

هي عملية التأثير على الأفراد بتطبيق مبادئ وقوانين علم النفس في إعداد الرسالة الإعلامية وتقديمها بما يتناسب مع طبيعة المتلقي. وبالتالي تلعب السيكوميديا دوراً مهمّاً في تكوين وصناعة الصورة الذهنية للأفراد في المجتمع باستخدام عدد من الأساليب، ومن أبرزها: انتقاء الأحداث والمعلومات بغرض توجيه القائمين على وسائل الإعلام لانتقاء أخبار ومعلومات محددة تجاه (فرد/ مجتمع/ دولة) لما تمليه عليهم بعض الاتجاهات، واستخدام أسلوب عبارات ومصطلحات خاصة تقابلها وقائع معينة لكى تترك أثراً على الجمهور المتلقي، وكذلك استخدام أسلوب التكرار والملاحقة لتكوين صورة ذهنية للأفراد سواء بخلق صور جديدة لم تكن موجودة أو تقوية التصورات

الموجودة وترسيخها للعمل على تحويل وتغيير تلك التصورات [6]، كما تستخدم أسلوب التطبيع الذى أصبح أداة لتوجيه وتنظيم الأفكار في أذهان الأفراد والجماعات وتكوين مواقفهم الفكرية والاجتماعية، وأخيرًا أسلوب التبسيط والعرض، ويُعد الفيسبوك من أبرز نماذج استخدامات السيكوميديا في الحشد والتعبئة العامة للجماهير لتحقيق أهداف سياسية معينة.

وكما جاء في كتاب «المتناطحون» لمؤلفه «لِستر ثرو» فإن «الفائز في القرن الحادي والعشرين هو من يمتلك مفاتيح القوة التكنولوجية والمعلوماتية»؛ فمن يملك وسائل الاتصال، ويتحكم بالرسالة الاتصالية يستطيع التلاعب بالعقول، والتأثير في حياة الناس سلبًا أو إيجابًا، وتوجيههم الوجهة التي يريد. ومن ثم أصبح القرن الحادي والعشرون قرن الحروب الذكية وحرب القوة الناعمة التي تعتمد بشكل كبير على المقوم التكنولوجي، وتحديدًا الفاعل الرقمي في إدارة التغيير وفرض الإرادات على الدول التي تدور في فلكها أو تسعى بها إلى هذا الفلك وهي حرب تستخدم قواعد البيانات والمعلومات والصناعة والبنى التحتية والاتصالات، ومَن يُسيطر على هذه الجبهات اليوم يربح الحرب دون طلقة واحدة . فظهر ما يُسمى اليوم بالجيوش الذكية والأسلحة الذكية؛ فالجندي الإلكتروني أصبح فاعلًا له مدلولاته بقدر لا يقل في الأهمية عن الجندي الحقيقي الذي لا يستطيع خرق سيادة الدول إلا بالتضحيات [7].

على هذه الخلفية استطاعت تكنولوجيا الاتصال خلق فضاءات افتراضية لتواصل الأفراد تكون لهم بديلة للواقع الحقيقي يتناقشون ويتحاورون فيها بكل حرية وديمقراطية دون أن يكونوا مضطرين للخضوع لسطوة وسائل الإعلام التقليدية التي كثيرًا ما كانت تحتكر فضاءات التواصل العمومي وجعلتها في الغالب أدوات لممارسة توجيه الأفكار على حد تعبير «هابرماس» ؛ فلقد أصبحنا اليوم كمستخدمين لهذه التكنولوجيا غير قادرين على فصل أنفسنا عنها؛ بل أصبحنا نبرمج حياتنا، وعلاقتنا من خلالها.

مما سبق يمكن القول أن جيل الشباب المعاصر نشا في عالم تهيمن عليه وتنتشر فيه وسائل الإعلام الجماهيرية، بحيث عايشوا كذلك أهم فترة لتطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام ابتدءً من سنوات الثمانينات لذلك لا تعني لهم عبارة التكنولوجيا الجديدة الكثير لأنهم تملكوا كل الأدوات الإعلامية والاتصالية انطلاقا من ظهور التلفزيون وصولا إلى الكمبيوتر والانترنت، كما يتميزون باستخدامهم لمعظم الإمكانيات التقنية لهذه التكنولوجيات انطلاقا من أقدم وسائل الإعلام الآلي L'ancienne Bureautique وصولا إلى الرسائل النصية الجديدة Nouvelle Messagerie ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي،وهو ما أنتج جيل جديد من المستخدمين لهم علاقات مع الوسائل الاتصالية الجديدة يختلف عن علاقة الأجيال السابقة بها أطلق عليها Maric Pinsky اسم Digital Native الشباب الرقميين إشارة لجيل يجد راحة في التعامل مع التكنولوجيا تختلف مع الجيل القديم Digital Immigrant الذي لا يزال يحاول فهم هذه التكنولوجيات وكيفية الاندماج معها للتمكن من التعامل معها.

في نفس السياق، يري **Bernard Préel** أن روح الجيل L'esprit D'une Génération يتشكل خلال المسار الدراسي بين الأفراد المولودين في الفترة نفسها والذين يتقاسمون الخبرات حول أحداث تاريخية ،ثقافية ،اقتصادية ،اجتماعية معينة، ويؤكد أن عيش الشباب في سياق تاريخي معين يعد جد أساسي بحيث أن ظهور الانترنت وتوسع استخدامها في البيوت فانتشار الكمبيوتر الشخصي يساعد هؤلاء الأفراد في تعاملهم معها والإبداع في ذلك [8].

كما أن استخدامات هذا الجيل تشارك في إعادة مزج ودمج وربط المحتويات الرقمية بفضل تحكمهم في التكنولوجيا وتعاملهم الذكي والسهل معها والذي يصل في حالات كثيرة لدرجة الإبداع،أطلق Berry Richard اسم Génération Sans Fil و قد وصفه في تحليلاته بأنه جيل حامل لنمط حياة، يمثل و يعكس اختلاف أساسي في التعامل مع التكنولوجيات كما يصف هذا الجيل الرقمي باسم Numérique Natifللإشارة للجيل المستخدم الأصلي والذي كبر مع الكمبيوتر الهواتف النقالة كما يطلق عليه جيل الانترنت أو (y)

Générationأو"GenWhy" أو Les Whyers أو Génération Porte Feuille وقد توصلت العديد من الدراسات لإثبات أن الشباب الرقميين مفتون بمواقع شبكات التواصل الاجتماعي وخاصة شبكة الفايسبوك التي يستخدمونها من أجل تقاسم المحتويات بينهم وعنهم في الوقت نفسه كما يقبلون على الموقع للتعاون والمحادثة حول مسائل عامة وشخصية كما يستخدمون الموقع للتواصل مع أصدقائهم وإيجاد آخرين بشكل سريع فقد عرف عن هذا الجيل حبه للسرعة في كل شيء وعدم اعترافه بالقواعد وأثبتت الدراسات أن أفراد هذا الجيل الجديد غارقون في استخدام أدوات الويب2,0 في بيوتهم،يتقنون استخدامها ويتميزون بالفر دانية كما إنهم مولعون بالمواثبة Zapping والانتقال من التطبيقات Application دون صبر كما يقبلون على وضع التعليقات عبر "فايسبوك" بعبارات مألوفة فيما بينهم[9].

وفي وقتنا الحالي أصبحت أبعاد تفاعل الإنسان مع الكمبيوتر معقدة ومتشابكة نظرا لامتداد العوالم الافتراضية في أشكال جديدة لدراسة تفاعل الشباب الرقميين في هذه البيئة التكنولوجية البصرية قصد معرفة دلالات انساق الذكاء الاصطناعي، خصائص تصفح الانترنت بيانات الشبكات التواصلية والتفاعلية على الخط،المنشورات التفاعلية ،النشر الالكتروني وغيرها من الصيغ التصميمية والنماذج الفنية والإبداعية التي لها صلة تفاعل الإنسان–الآلة قصد فهم دور المستخدم في إنتاج الدلائل والرموز والشفرات الرقمية والأنساق اللسانية وغير لسانية داخل نظام الحاسب الآل [10].

وحسب بعض المختصين فإن الاستخدام المتواصل والمفرط لخدمات شبكات التواصل الاجتماعي لها آثار على القدرات الذهنية والإدراكية للفرد كما تساهم بعض المحتويات الثقافية لوسائل الاتصال الجديدة في تسطيح الثقافات لدى الأفراد وجعلهم يهتمون بالقضايا الهامشية [11].

ويؤكد مجموعة من الباحثين في علوم الإعلام والاتصال، أن مستويات تفاعل الشباب تختلف حسب استعمالات هؤلاء لتكنولوجيا الاتصال الحديثة بصفة عامة وشبكات التواصل الاجتماعي بصفة خاصة، أدت إلى حدوث انعكاسات على جميع الأصعدة، وذلك سواء على المستوى الفردي للمستعملين أو على المستوى الجماعي في المجتمع ككل [12].

IV. مستويات تعددية معاني المضامين الاتصالية عبر الفضاءات الرقمية

يعتبر الفضاء الافتراضي مساحة خصبة للاتصال و الترابط الفكري و المعنوي بين أفراده و ذلك باستخدام مختلف الوسائط والتقنيات التي يوفرها هذا الفضاء لمستخدميه، إذا لم يعد المتلقي ذلك الطرف السلبي الذي يقوم بالتعرض لمضمون رسالة المرسل بل أصبح يعتبر مشاركا إيجابيا في العملية الاتصالية ومسؤولا على بناء جزء هام من مضمون الرسالة و هذا ما يجعل الاتصال تفاعليا.

هذا وساهم اختراع شبكات التواصل الاجتماعي و من بينها الفايسبوك، في تدعيم الفكر الديمقراطي وحقوق الإنسان وغيرها من الأفكار والمفاهيم السياسية والاجتماعية والثقافية التي انتشرت وتكونت حولها التشكيلات و الجماعات التي استفادت من سهولة النشر خاصة أن شبكة الفايسبوك توفر إمكانية التواصل للزائرين بالتسجيل، و الاتصال ببعضهم من أجل التواصل أو تقاسم المعلومات عبر صفحاتها، مما يؤدي إلى سهولة تشكيل الجماعات الافتراضية و تحقيق المشاركة وتبادل الخدمة أو الرأي أو الفكر بين الأعضاء [13]، لكن هذه الصفحات الافتراضية تفتح المجال واسعا أمام تعددية المعاني، فالمحتوى الرقمي لا يظهر المعنى في نمط معين وإنما يتأسس وفق مستويات تظهر إلى الوجود بفعل الإدراك الجمالي لدى المستخدمين.

وبالتالي نجد أن مستويات تعددية المعاني في الفضاء الافتراضي تختلف من مستخدم لآخر، فهي تجمع بين التأويل التفسير والتأمل و هي ثلاثة مفاهيم يستدعي كل واحد منها لآخر، وذلك لأنها تشترك جميعا في هدف واحد يتجسد في عملية تحدد المعنى، وإذا كان التفسير يبدأ وينتهي عند عملية الكشف والإظهار لمعنى نص ما، من خلال استعمال دلالات ظاهرة تدل على ذلك، فإن مفهوم التأمل تشير إلى أن مضمون الوعي في لحظة معنية هو مجمل الظواهر الواعية التي بكونها مستخدم صفحات التواصل الاجتماعي.

وفي مقابل ذلك، فإن التأويل بشكل عام، هو صرف النص الرقمي عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمله على نحو يجعل المعنى المحتمل لا يتعارض مع المعنى الظاهر، أما المصادر الغربية فتشير إلى المعنى الاصطلاحي للتأويل يدور حول دراسة النص من خلال مظهرين:

المظهر الأول يتجسد في أن لكل مفهوم طريقة خاصة في تحديد المعنى المشترك معه فيها بقية المفاهيم فالتفسير تحديد للمعنى لا يتناول بشكل مباشر أو غير مباشر، ذلك التعقيد الذي يتناوله التأمل و التأويل،

المظهر الثاني يتجسد في أن لكل مفهوم وظيفة تعالج مستوى محدد من المعنى يتسم بدرجة معينة من الصعوبة و الغموض بحيث لا تستطيع المفاهيم الأخرى من خلال وظائفها معالجة ذلك المستوى من المعنى

وبالتالي فتعدد التأويلات ناتج عن التعدد الطبيعي و الاختلاف بين البشر، لذلك فكل نظام لغوي يمكن أن يقترن بمجال الدلالة السيميولوجية، ويُنتج مستوى معقد من الدلالة حسب السياق المعرفي والموضوعي للعلامات [14].

أثبتت الاجتهادات الخاصة بالدراسات الاتصالية المعاصرة أن الشبكات الاجتماعية عبر الأنترنيت• سمحت بحدوث تغيير جذري في كيفية تشكيل النسيج الاجتماعي، و بناء العلاقات و إمكانية استمرارها،الأمر الذي أدى إلى تعدد معاني المضامين المنشورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فبعد أن كان في الماضي البعد الجغرافي يلعب دورا كبيرا في تكوين الفرد لعلاقاته، أي أن التقارب الجغرافي و الاحتكاك اليومي في مختلف الأماكن (السوق، المدرسة، أماكن العمل و غيرها)، هو الذي تكون على أساسه هذه الروابط الاجتماعية، فقد أصبح الأمر مختلفا تماما مع التطورات الحاصلة في التكنولوجيا الاتصال الحديثة لاسيما شبكات التواصل الاجتماعي أو المدونات الالكترونية، فيمكن لأي شخص أن يتعارف مع أفراد من مختلف أنحاء العالم و يكون معهم علاقة حتى و إن كان بعيدا عنهم جغرافيا أو لم يلتق معهم أبدا وجها لوجه.

• الشبكات الاجتماعية عبر الانترنيت:شبكات التواصل الاجتماعي أو الشبكات الاجتماعية هي عبارة عن مواقع وايب تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية و الرسائل الخاصة و الفيديو و التدوين و مشاركة الملفات و غيرها، و من الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية قد أعادت رسم خارطة العلاقات الاجتماعية و أحدثت تغييرا كبيرا في أنماط الاتصال و المشاركة بين الأشخاص و المجتمعات و تبادل المعلومات و تعرف أيضا على أنها تجمعات رقمية تسمح بالتعرف على مجموعة كبيرة من الأفراد و تسمح للأفراد أيضا بالتكتل مع الأشخاص يتقاسمون نفس الاهتمامات و الميول.

شكل رقم –01–

مخطط نموذجي يفسر تلقي المحتوى الرقمي

عبر مواقع التواصل الاجتماعي

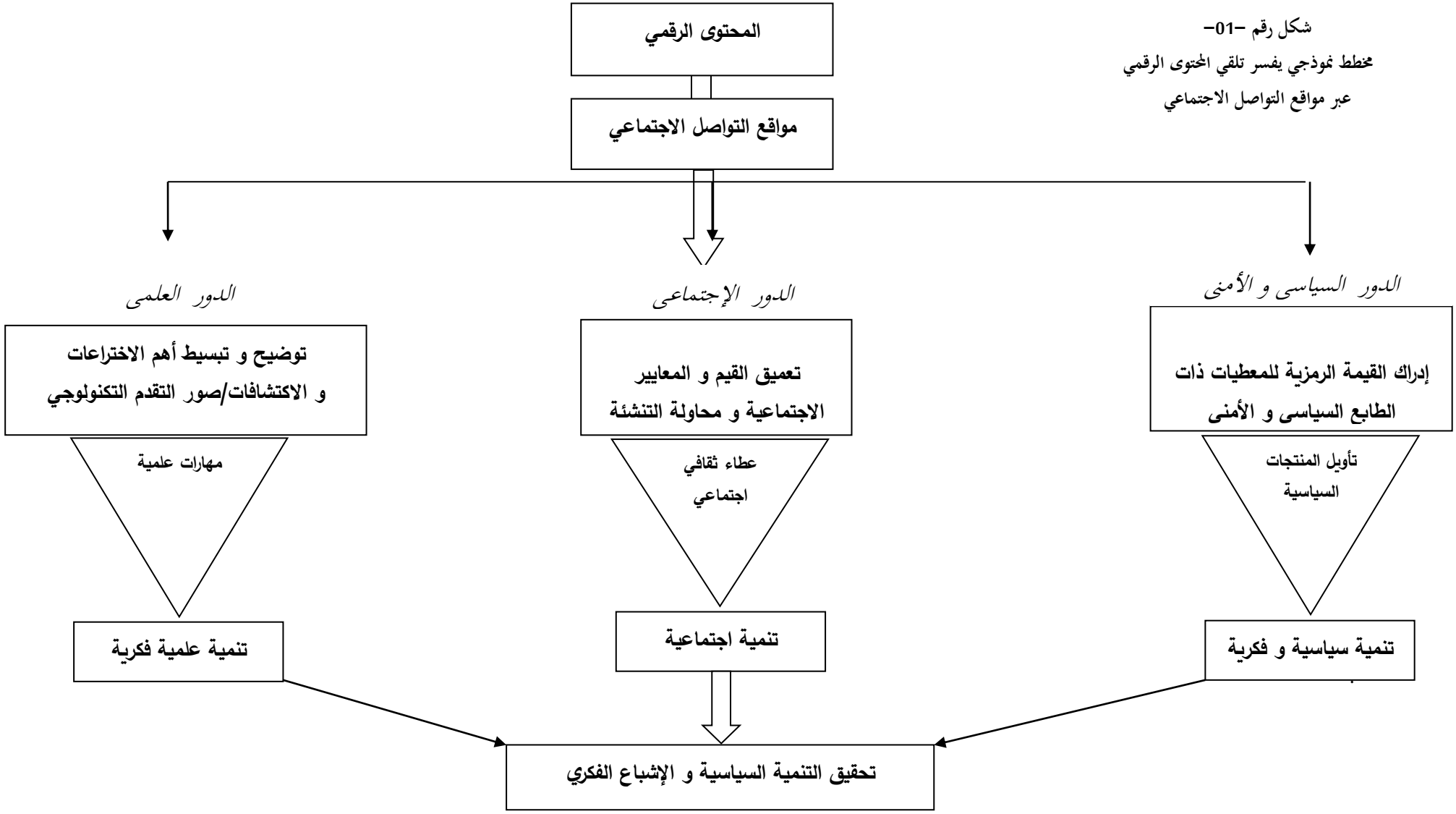

يمتلك الفرد المعرفة و يستعملها كسلطة كما يقول فرانسيس بيكون Francis Bikon ، هذه السلطة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأشكال الخبرة المهنية، العلم و التطبيق، و مدى قوة فاعلية المعرفة بشتى أنواعها في التأثير على شرائح المجتمع، من خلال الخطاب الذي يطلقه نظام العلامات كموقع الفايسبوك على سبيل المثال، باعتباره شبكة تواصلية تجمع فيها كل فئات المجتمع، إذ تضم حوالي 70% من الشباب الذكور و 34 % من النساء ، حيث بلغ عدد مستخدمين العرب للفايسبوك حوالي 43.194.542 مستخدم كما لا يزال الفايسبوك مسيطر على أكثر من مليار مستخدم نشط شهريا في العالم، كما يبينه تقرير عام 2020، و غيرهم من المستخدمين الذين يمارسون علاقاتهم التواصلية بكل حرية مستعملة في ذلك تقنيات جديدة للتواصل والتعبير، ضمن هذا الموقع الذي يمتاز بعدة مكونات تسمح للمستخدم في التعبير سواء كان صاحب المدونة الذي يصبح منتج النص والموضوع ، أو كان المستخدم متلقيا ومشاركا[15].

وتختلف عملية التلقي من متلقي لآخر ، خاصة و أن شعار موقع الفايسبوك يحتوي على مجموعة من القيم والمضامين الدلالية، والتي تسهل في عملية التعرف عليه بسهولة، فهذا الشعار يتكون من إطار داخلي و الذي يعبر عن المسافة التي تحدد بين الموضوع المصور والهدف والذي تتيح إحساس بالعظمة من الموقع، وهذا في لحظة الالتقاء البصري بين المستخدم والشعار، كما أكدته مارتن جولي Martin July في أبحاثها الاتصالية و السيميولوجية.

إلى جانب ميزة التوازن اللوني ، الذي ظهر في موقع الفايسبوك باستعمال اللون الأزرق الداكن الذي يخفي الإحساس بالعمق والبعد واللون الأزرق الفاتح الذي يضفي الإحساس بالاتساع والقرب، وهاتين الخاصيتين أساسيتين في هذه الشبكة الاجتماعية، فيمكن للمستخدم أن يتوغل قدر ما يشاء وبلا حدود في عمق العلامات الموجودة في هذا الفضاء، هذا الكون الأزرق الذي امتزج بالأبيض أو الفراغ بين الكلمات يساعد المتلقي على تمرير هذه النصوص بدقة وبشكل واضح، كما يساعد على تعيين الوقت خلال القراءة، ولهذا حاول مصممو هذا الموقع الإبقاء على هذه الخاصية والمرتبطة بالورقة العادية وذلك بعدم كسر العادة البصرية، كما ان البياض يساعد على الاسترخاء خاصة بامتزاجه مع اللون الأزرق، وهذا ما يؤكده ميشال باستورو Michel Pastoreau في حديثه عن الألوان المرتبطة بالمواقع الالكترونية ، التي يستخدم عموما بغرض رمزي يجرى فيه توظيف الدلالات التعبيرية للون في سياق الفنون المرئية ، بغرض الإسهام في إيصال الفكرة و تدعيم التأثير النفسي في الجمهور ، ليستخدم لغرض رمزي و الغرض الانفعالي العاطفي، ليكون اللون وفق هذا السياق هو تصعيد لدلالة الشيء، فهو سلسلة من الاختزالات المعنوية التي ترتقي لمستوى الرمز [16]، إلى جانب اللغة المستعملة، حيث يقر حرف F هذا الحرف الأول من كلمة Facebook والتي تعني وجه الكتاب ، وهذه التسمية التي تعود إلى تحديد موقع هذه المؤسسة ضمن المؤسسات الأخرى، كما نجد لمسة متعلقة بالتدوين والتي تسمح بإضافة العلامات والصور التي يمكن تضمينها ، و قد تمكن المستخدم من جلب أو ربط المدونات وتعطي الحق للمستخدم في إبداء رأيه عن الموضوع المنشور في المدونة[17]. لان الذاكرة البشرية تفضل الكتابة الطبيعية العفوية على الكتابة المنمقة والمدققة بدليل الدراسة التي قام بها باحثون في جامعة بريطانيا إلى جانب جامعة كاليفورنيا، مؤكدين بان الناس يتذكرون التعليقات على موقع الفايسبوك بشكل أفضل من تذكرهم لمقاطع من الكتاب مضيفين ان عقول البشر قد تكون أفضل في تلقي المعلومات وتخزينها وتذكرها حين تكون منشورة على الانترنت بشكل تعليقات، لأنها تكون في صيغة يستوعبها العقل البشري بسرعة بما انها عفوية و غير خاضعة للتدقيق وأقرب إلى الخطاب العادي[18].

ومن العلامات التي تفسر آليات التواصل وتعدد المعاني لدى مستخدمي "فايسبوك"، نجد الإشارات والتي تعتبر عملية إختزالية يقصد بها إما ربح الوقت، أو تمرير خطابات معينة بين الأفراد بطريقة تمنحه صفة السردية أو بشكل شخصي لا يفهمه إلا مستعملي هذه الإشارات، ويمكن اعتبار الإشارات بأنها خطابات عاطفية جماهيرية تستخدم في عمليات الاتصال الافتراضي، ومن الإشارات الأكثر

تداولا في الفايسبوك ، إشارة الإعجاب Like/J'aime ، فهي إشارة عاطفية أولا، القصد منها هو التواصل و التشجيع والنشر والإشهار[19]،كما ان بعض المدونات تعتبر هيه الخاصية رمز للربح في بعض المؤسسات التجارية ، إلى جانب إشارة أخرى مثل المشاطرة Partager بعد نشر موضوع أو محتوى معين في حائط المستخدم او نسخ هذه الخاصية بمشاطرة الموضوع مع الأصدقاء، إلى جانب العديد من الرموز الأخرى التي تستعمل في الدردشة، أو الشات Chat أو ما تسمى في الدراسات الاتصالية بالمحادثة الرقمية.

لذا يعتبر الفايسبوك من بين الشبكات التواصلية أكثر رواجا في العالم ، كونها تسمح بتقديم الإشباع المطلوب للمستخدم بأقل جهد ، ونفقات اقل ، وفي أي وقت و من أي مكان ، بالإضافة الى سهولة الاستخدام ، جميع هذه العوامل ساعدت بشكل كبير في ازدياد شعبية هذا الموقع الاجتماعي ، فيكفي ان يملك الفرد المهارات الأساسية في الانترنت تمكنه من الولوج إلى العالم الافتراضي [20].

تجمع حروب الجيل الرابع أنواعا مختلفة من الحروب، كالحرب الإعلامية والنفسية والحرب العسكريةً دون وجود جيوش نظامية، وتستخدم فيها منظومات وبرامج مخابراتية تجسسية وفرق خاصة للخلايا النائمة، وتسخر لها منظومات متكاملة مساندة (معلومات لوجستية– وسائل الاتصال– موارد وأجهزة ومعدات متطورة)، لتحقيق مكاسب وأهداف سياسية وعسكرية واقتصادية في بقعة ما من أرض الصراع التي تتمتع بأهمية خاصة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، أو دولة لها أهمية ما على صعيد الجغرافيا السياسية وغالبا ما يتم تنفيذها مع الدول التي يحمل التدخل العسكري المباشر فيها تكلفة عالية.

ويعد الإعلام أحد أبرز الأدوات المستخدمة في حروب الجيل الرابع، بل تجاوز في بعض الأحيان هذاُ المستوى حتى بعض المراقبين والمختصين بأنه أساس الحروب الحديثة، فأصبحت الحرب الإعلامية واحدة من أهم الحروب في العقد الأخير من القرن الماضي، أو على الأقل الرقم الملازم دائما للأرقام الكبيرة والمهمة في حسابات الحروب مع اختلاف عناوينها وتعدد مسمياتها.

فعملت الدول الكبرى على استثمار الإعلام في حروبها الجديدة من أجل نشر الشائعات، والفتن، والتحريض، وتقسيم المجتمعات، وإدخال الدول في حالة من الفوضى تمهيدا لسيطرة عليها عبر التدمير الممنهج واستغلال الرأي العام.

فيتمكن الطرف المسيطر على الوسيلة الإعلامية من تحقيق أهدافه وتحطيم عدوه تحطيما كاملا بدلا من اللجوء إلى الحرب العسكرية المباشرة وما ينتج عنها من خسائر بشرية ومادية [21].

فقد فرض الإعلام بأدواته الجديدة واقعا إعلاميا جديدا بكل المقاييس ، حيث انتقل الإعلام إلى مستوى السيادة المطلقة من حيث الانتشار، واختراق كافة الحواجز المكانية والزمانية، والتنوع اللامتناهي في الرسائل الإعلامية، والمحتوى الإعلامي، بما يملكه من قدرات ومقومات الوصول والنفاذ للجميع، وامتداده الواسع؛ بتقنياته وأدواته واستخداماته وتطبيقاته المتنوعة، في الفضاء الإلكتروني المترامي الأطراف بلا حدود أو حواجز .

ويرتبط الإعلام حاليا بالمصالح الاقتصادية والأجندات السياسية الاستعمارية للدول الكبرى، مما يجعله واحدا من الأسلحة الأقوى، وبعد التطور الهائل الذي شهدته وسائل الإعلام الجماهرية و الالكترونية وانتشارها العالمي، وخاصة الإلكتروني منها، والتي تتميز بسهولة استخدامها وتوفرها بشكل مجاني واكتسابها قاعدة جماهيرية كبرى، وتأثيرها الهائل على عنصر الشباب، أصبحت هذه الوسائل أهم عوامل التغيير الثقافي و الاجتماعي والسياسي .

V. برنامج السليل .. خطوة إعلامية جريئة لمجابهة حروب الجيل الرابع

ونظرا لأهمية وسائل الإعلام عامة و الإذاعة خاصة في إدارة الصراعات ، بذلت المؤسسة العسكرية الكثير من الجهود التي تهدف إلى محاربة ومجابهة حروب الجيل الرابع على الأصعدة كافة، من بينها حصة السليل حصة أسبوعية لوزارة الدفاع الوطني للتواصل مع الجيش الوطني الشعبي, تسلط الضوء على الأحداث العسكرية و تفتح النقاش حول قضايا الدفاع الوطني من خلال استضافة النخب الجزائرية المختصة في المواضيع الأمنية و العسكرية و كذا المعلوماتية منها .

ومن خلال القيام بقراءة تحليلية للمضمون الإعلامي للحصة الإذاعية محل الدراسة استخلصنا جملة من الاستنتاجات نوردها على النحو التالي :

– تسمح حصة السليل بتأكيد وحدة وتكامل العمل الإعلامي بكافة وسائله المسموعة والمقروءة والمرئية على مستوى الدولة، والقيام بعملية ترويج واسعة للمنتج لإيجاد قاعدة انتشار وطنية وإقليمية وعالمية للوصول إلى أكبر عدد من المتابعين والمهتمين.

– تساهم حصة السليل في تحقيق الحوار بين أجهزة الدولة وفئات الشعب بما يحقق الإبداع والتواصل، وبذلك يحقق التآخي والترابط بين أبناء الشعب من أجل إنجاز الأهداف الوطنية عن اقتناع وبصورة مشرفة.

– تبين لنا ضمنيا أن الحصة الإذاعية تعمل على تعميق وعي المواطن وإثراء شخصيته وإقناعه بالقضايا الراهنة و التي تهدف أولاً وأخيراً إلى تحقيق أمنه والأمن الوطني للدولة ككل، والواقع أن تحقيق ذلك لن يأتي من فراغ من خلال تعاون كامل بين أجهزة الدولة المختلفة.

– تعتمد حصة السليل على إستراتيجية إعلامية محكمة من خلال تقديم الرسالة الإعلامية بصورة تحصن المواطن ضد الغزو الفكري والإعلامي الأجنبي، وترسيخ الشخصية الوطنية، وتحقيق الأمن الثقافي والإعلامي الوطني في مواجهة التيارات الإعلامية الوافدة التي تهدد مختلف الأنساق القيمية .

– يعمل الطاقم الصحفي للحصة باعادة نشر الحصة عبر مختلف الوسائط الاتصالية الجديدة كالفايسبوك و غيرها ، نظرا لأهمية الفضاء الافتراضي في استقطاب عنصر الشباب ، و هي تدخل ضمن استراتيجاتها الخاصة بالاتصال الرقمي قصد تعزيز أواصر رابطة جيش أمة .

–الاختيار الدقيق للمواضيع المعالجة سمح بصياغة نظام إعلامي يكون قادراً في إبداعه وعطائه على أن يأخذ مكانه في هذا الزمن ويضمن له القدرة على مواجهة التحديات والمخاطر التي يمكن أن تواجه الدولة في المستقبل، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الأصالة والهوية الوطنية وعدم إدماجها في تيار الفكر والثقافة الأجنبية.

– التصدي اعلاميا لأية هجمة إعلامية لحرب نفسية قد يكون من شأنها التأثير على الروح المعنوية لأداء القوات المسلحة والمواطنين بشكل عام.

خاتمة:

ختاما، يعتبر الإعلام بفلسفته الواسعة وبوسائله المتطورة أقوى أدوات الاتصال العصرية، بل إن الإعلام في ضل ثورة الاتصال والمعلومات حمل معه تقنيات واسعة أدت إلى إحداث تطورات ضخمة في تكنولوجيا الاتصال، والإعلام العسكري يعد أحد الفروع المتخصصة للإعلام الشامل، بل إنه أصبح يمثل ركيزة مهمة من ركائز بناء الأمن الوطني للدولة والوسيلة الرئيسية لإيصال نشاط ودور القوات المسلحة إلى الرأي العام، وهو دور يقوم على أساس التفاعل مع التحديات والتهديدات الموجهة للأمن الوطني من أجل تأكيد إستراتيجية الدولة في مواجهة هذه التحديات، وذلك من خلال الإسهام في مناقشة هذه القضايا وإيجاد الحلول المناسبة لها، كما أن له رسالة مهمة في مواجهة الغزو الفكري والثقافي .

الهوامش:

1) أسماء الهادي، التأثيرات التربوية للمجتمعات الافتراضية، (2017) ،كلية التربية، جامعة المنصورة نقلا عن الموقع:
https://bit.ly/3lwh1lw ، الساعة 13:34.

2) المرجع نفسه.

3) المعهد الجامعي للدراسات الإنمائية (IUED):
https://bit.ly/3LrG6J7 /15/04/2022 , 14 h

3) كاظم المقدادي، (2008) ، المخاطر المرتبطة بأخلاقيات العمل الإعلامي، مجلة تواصل، تصدر عن هيئة الإعلام والاتصالات، العدد السابع عشر. ص 77 .

5) عبد اللطيف بوزير، (2016/2015)، استخدام المراهقين لشبكة الفايسبوك وعلاقته بتعلقهم الأبوي، تفحص علاقات الانسجام والصراع، دراسة ميدانية على عينة من المراهقين المتمدرسين بالعاصمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الطور الثالث في علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر03، ص57.

6) المرجع نفسه، ص 58.

7) Philipe Breton, Le Culte De l'internet (2000), Une Menace Pour Le Lien Sociale, Ed La Découverte, Paris, P72.

8) Zartarien V, Noel, Cyber Monde, (2000), Ou Tu Nous-mêmes Grand Frère? Genève, George, P29.

9) إبراهيم بعزيز، (2012)، تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتاب الحديث، ط1، الجزائر، ص68.

10) علي محمد رحومة، (2005)، الانترنيت والمنظومة الكنو–اجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، ص33.

11) إبراهيم بعزيز، المرجع السابق، ص 69.

12) حنان شعبان، (2011)، تلقي الإشهار التلفزيوني، دار كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، ص 71.

13) وليد رشاد زكي، (2012)، نظرية الشبكات الاجتماعية من الأيديولوجية إلى الميثودولوجية، المركز العربي لأبناء الفضاء الالكتروني، مصر، ص 12.

14) تقرير الإعلام الاجتماعي العربي ،(2013)، كلية دبي للإدارة الحكومية ، تقرير خاص ، ص7.

15) طاهر عبد مسلم ، (2002)، عبقرية الصورة والمكان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2002، ص 48.

16) المرجع نفسه، ص 48.

17) Bonnal Nicholas ,(2000), Internet la nouvelle voie initiatique , Edition les belles lettres , paris , p74.

18) WinkinYves ,(2000), La nouvelle communication , Editions de seuil , France, p77.

19) احدان، 2015، ص114.

20) Jean François pelletier ,(2005), Réclusion Et Internet , presses de L'université du Quebec , Quebec, p74.

21) تقوى، 2014، ص07.